الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر

كليّة الآداب واللّغات قسم الأدب واللغة العربية

جمالية الصورة البيانية في ديوان "الدموع السوداء" لمحمد الطاهر بن أبي القاسم التّليلي القماري السوفي

مذكرة معدّة ضمن متطلبات نيل شهادة ليسانس في الآداب واللّغة العربية

إعداد الطلبة:

- باكر توفيق
- بعاج الأزهر
- مومن سعد الساسي

إشراف الدكتور:

العيد حنكة

الموسم الجامعي: 2015/2014م / 1435/1434هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

{ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي(28) }

طه: الآية(25-26-27-28)

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

مصداقا لقول الرسول ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»

نتقدم بأسماء معاني الشكر والعرفان إلى أستاذنا المشرف

*** العيد حنكة ***

على حسن إشرافه على موضوعنا وعلى كل ما قدمه لنا من توجيهات صائبة طيلة فترة إنجازنا لهذا البحث

فله منا كل الشكر والتقدير والعرفان كما لا يفوتنا أن نتقدم بفائق الشكر والامتنان إلى كل الأسماء التي شرفتنا بمساهمتها في انجاز هذا البحث ونخص بالذكر إلى الأستاذ الفاضل

*** بليلة عبد القادر *** الذي لم يبخل علينا بشيء

وإلى الأستاذة الفاضلة *** باكر هدى *** التي أمدتنا بيد العون

وختاما نشكر كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد ولو بدعوة صادقة في انجاز هذا البحث وإلى كل هؤلاء نتقدم بالشكر والعرفان

❖ توفيق- الساسي- الأزهر ❖

مقدمة

إن التراث الشعر الجزائري غني بدواوين الشعراء المشاهير، فقد ارتبط الشاعر الجزائري بقضايا وطنه وأمته فقاسمها الأفراح والأقراح، وساهم بشعره في نصرة القضايا الوطنية ولاسيما في الفترات الصعبة والحرجة، التي هزّت بها الأمة الجزائرية ودعا الأمة إلى الجهاد من أجل نصرة وطنه، كما تطرقوا إلى قضايا أخرى كمحاربة الجهل والفساد والدعوة إلى التعليم والأخلاق الفاضلة. ومن أمثال هؤلاء الشاعر السوفي "محمد الطاهر التّليلي" الذي جعل نفسه؛أحد الشعراء الذين استحقوا أن تكون لهم مكانة في الأدب، فهذا شاعرنا محمد التليلي تملأ سمعته الآفاق، ولكن ديوانه ما يزال بكرا فيه متسعًا للبحث ومجلا للدراسة. وهذا ما دفعنا لاختياره موضوعا لبحثنا، حيث حدّدنا الجانب البياني في شعره ونقصد بذلك الصور البيانية التي استخدمها محمد الطاهر التّليلي، ومصادرها التي استمدّ منها الحقيقة والخيال. وسمينا البحث بـ"جمالية الصورة البيانية في ديوان الدموع السوداء".

ولعلَّ أبرز الأسباب التي حفزتنا اختيار هذا الموضوع، أحداهما عام : قلة الدّراسات البلاغية في الديوان، والآخر خاص، رغبتنا في التعرف على علم من أعلام شعراء وادي سوف.

وكان هدفنا الأساسي، تتبّع شعر محمد التّليلي واستخراج الصور البيانية وتحليلها؛ لبيان قدرة الشاعر في استغلال العنصر البياني في تشكيل صوره التي عبر بها عن المعاني المختلفة التي قصد إليها وللتعرف على جماليات الصور البيانية طرحنا الإشكالية الآتية:

- ما مدى كفاءة الشيخ في توظيف مختلف الصور، الاستعمارية، و الكنائية، و التشبيهية، في الديوان؟
- هل الصورة البيانية في المعيار الحسي كانت حاضرة في الديوان؟

بنيت هذه الدراسة على مقدمة ومدخل يجسد حياة الشاعر وفصلين وخاتمة.

المدخل تطرقنا فيه للمولد والنشأة، صفاته، ثقافته وأعماله الشعرية والنثرية والتعريف بالديوان.

وقسمنا الفصل الأول إلى قسمين: تمهيد خصصناه لدراسة الصورة بوجه عام، واشتمل على تعريفات عند البلاغيين وعند القدامى وعند المحدثين.

أما القسم الثاني: فطبقنا الصورة البيانية في المعيار البلاغي على ديوان الدموع السوداء لما اشتملت من استعارات وكنايات وتشبيهات.

أما الفصل الثاني: من هذه الدراسة، فقد كان عنوانه: الصورة البيانية في المعيار الحسي، بدأناه بتوطئة عرفنا الصورة الحسية علميا وفنيا، وكان بمثابة المعيار في تحليل الشعر ودراسته، وطبقناها في ديوان الدموع السوداء كصور بيانية يغلب عليها أحد الحواس الخمسة.

وذيلنا البحث بخاتمة تناولنا فيها أهم النتائج المستخلصة من الدراسة.

وقد اعتمدنا أثناء دراستنا لهذا البحث على عدّة مناهج، كان أبرزها المنهج التحليلي القائم على اعتماد النماذج الشعرية الدّالة للشيخ التّليلي وفق معطيات الصور البيانية واستنباطها، حيث استفدنا من المنهج التاريخي في التعرف على حياة الشيخ وما يحيط به.

مما يذكر أن الانتقاء أمر لا مفرّ منه أمام الكم الهائل من صفحات الدِّيوان، غير أن النص المنتقي هو ما ظنَّت الدّراسة أنَّه أكثر الصور البيانية من غيرها في ثنايا ديوان الشاعر، وقد كان جل اعتمادنا في الدراسة على ديوان الشاعر بمجلديه بتحقيق "**الدكتور أبو القاسم سعد الله**"رحمه الله.

ولم يخل هذا البحث كغيره من البحوث من بعض الصعوبات التي واجهتنا أثناء مسيرة بحثنا وهي قلة الدّراسة البلاغية، ولاسيما التطبيقية منها، فضلا عن أنواع البيان لدى البلاغيين المتأخرين الكثيرة والمتشعبة، بحيث يتعذر في أحيان كثيرة أن نجد لها أمثلة من شعر الشاعر.

قد استقينا مادة بحثنا من عدّة مصادر ومراجع أهمها:"فنون بلاغية البيان، البديع" **أحمد مطلوب** "الصورة الفنية في المفضليات أنماطها ومواضيعها ومصادرها"**زيد بن محمد بن غانم الجهني** و " الكافي في البلاغة البيان البديع والمعاني" **أيمن عبد الغني**.

وأخيرا هنا نتقدم بأسمى عبارات الشكر لأستاذنا المشرف:"**العيد حنكة**"، و الذي غرس فينا حب البحث و تحمل أعباء الخوض في غمار هذه الموضوعات، كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساعدنا ونسأل الله عزّ وجل أن يعصم أقلامنا من الخطأ، وأفواهنا من الزيغ والزّلل آمين والله المستعان وعليه التكلان.

مدخل

✓نبذة عن حياة الشيخ محمد الطاهر التليلي

◁اسمه ونسبه مولده.

◁مولده ونشأته ووفاته.

◁نشأته العلمية.

◁أثاره الإصلاحية.

◁أقوال العلماء.

◁أهم مؤلفاته.

◁التعريف بالديوان:"الدموع السوداء".

أولا: اسمه ونسبه ومولده:

1- اسمه ونسبه: هو محمد الطاهر بن بالقاسم بن الأخضر ابن عمر بن أحمد بن قاسم بن أحمد التّليلي الفرياني، ولقد اشتهرت أسرة الشيخ بلقب التّليلي، وهو نسبه إلى أولاد التّليلي، وكل منسوب إليها يسمى التّليلي.

ومن هنا سمّي وعرف شيخنا بمحمد الطاهر بن أبي القاسم التّليلي، وقد ذكر الشيخ الأسرة التّليلي يتصل عمود نسبه وأصل شهرته بالخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ.

2- مولده: ولد التّليلي في بلدة قمار عند منتصف الليلة السادسة من شهر ذي الحجّة؛ أي قبل عيد الأضحى بأربعة أيام سنة 1328هـ من هجرة النبي المصطفى ﷺ الموافق لسنة 1910 ميلادي.[1]

ثانيا: نشأته ووفاته:

- نشأته: لقد نشأ الشيخ محمد الطاهر التّليلي بين أحضان أسرة عريقة شريفة، وقد كان من عادة وادي سوف، أن الطفل يرسله والده الى الدراسة، خاصة إذا ظهرت عليه عوامل النجاح.

قال رحمه الله: (... أدخلني والدي بإشارة من جدي لأحد كتاب القرية المعروفة، إذ ذلك بجامع الطلبة وكان المؤدب في الشيخ المرحوم أحمد بن حم الأخضر بن المحنط المتوفي حوالي سنة 1342 هجري)، وقد قضى التّليلي في هذا الكتّاب سنة كاملة، ولكن جدّه الشيخ الأخضر بن عمر أمر بإخراج من الكتاب ليباشر تعليمه بنفسه على حسب ما يراه، لأنجح ولأصوب قال الشيخ رحمه الله: (.... خرجت من الكتاب المذكرة بأمر من جدي، لم يره الفائدة استقرار عن هذا الطريقة

لمختار عنده، وأخذ هو على نفسه أن يباشر تعليمه مباشرة، ولقد حفظ القرآن الكريم على جده إلى سورة [2]

[1]-محمد بن سعد طالبي، الشيخ الطاهر التليلي، قواعد البيان في الثابت و المحذوف في القرآن الكريم على رواية ورش، دراسة وتعليم إشراف منصور كافي رسالة ماجستير، باتنة (1420هـ 1429هـ) (2007م، 2008م)، ص 16.

[2]- توفيق عمراني، سيرة الأعلام، مجلة الإصلاح ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع س3، ع3 ربيع الاول1430 ص 70

الأعراف وبعد ذلك لم يستطع الجد مواصل تعليمه، تعلم عنده مبادئ العلوم العربية القواعد استفادة منها كثيرا في حفظ القرآن الكريم وكان مع ذلك يحضر دروس الشيخ بن السائح اللقاني وكذلك دروس عمار بن الحاج عبد الله بن الأزعروبقي على هذه الحال، الي أن حان موعدهللرحيل إلى الزيتونة طالب لعلم محقق لأمنية جده ....)[1]

وفاته: فاضت روحه الطيبة مساء ليلة الأربعاء الثامن عشر من شهر رمضان المعظم عام 1424 هجري وسلم الموافق لـ 12 نوفمبر عام 2003 م؛ أي حوالي 93 سنة.[2]

ثالثا:نشأته العلمية:و كانت على مرحلتين :

المرحلة الأول: نشأ في بلدته بين من عاصره من المشايخ، خاصة عمار بن الأزعر وتبدأ من السنة الخامسة من عمره أي سنة 1915م إلى 1927م.

المرحلة الثانية: نشأ في تونس بلدة العلم والعلماء، وتبدأ من سنة 1927م إلى 1934م، وتعدّ هذه المرحلة في حياة الشيخ رحمه الله من المرحلة الذهبية، ولقد اتسعت فيها أفكاره وقي فيها إدراكه ونضج فيها عقله ودامت سبعة سنوات بجامع الزيتونة.[3]

[1]-المرجع، السابق، ص 70.

[2]- المرجع نفسه، ص 21.

[3]- توفيق عمراني، مجلة الإصلاح، ص73.

رابعا: آثاره الإصلاحية:

– **المجال الديني**: سعيه الحثيث المتواصل في الدعوة إلى إتباع الحق ونبذه لابتداع كما في رسالته الشعرية التي بعثها إلى أحد الشيوخ:

أيُّها الطالب مهلاً لاتصف للجهلِ جهلاً
واسألن للعلمِ أهلاً إنَّهم أهلُ اليقين
إنما العلم أمانة فاز من أدى وصانه

إلى أن قال :

أيها الراعي يراعِي أنت مسؤول وراعْ
فاتق الله وراع وقفةً في يوم دين[1]

– حث المتعلمين الصغار والكبار على حفظ القرآن الكريم كما قال في ديوانه

ومن يحفظ القرآن الكريم كان دليله وحجَّته يوم التكلم بالحجج
وكان له سيفاً حساما لمن له تصدَّى بإلقاء الشكوك من الهمج
وكان له عند التَّفكر عبرة وموعظة تهديه إلى الطيب الأرج[2]

– توليه منصب الإمامة والخطابة بمسجد الكبير حيث حل محل الشيخ عبد القادر الياجوري.[3]

– **المجال الاجتماعي**: سعيه الدؤوب المشرف في جمع كلمه في إتحاد الصف، ونبذ التفرق بين أبناء الأمة الواحدة، وعلى هذا كان يربي تلاميذه في مدرسة النجاح، حتى إنه في سنة 1950م وبمناسبة ختم الدُّروس، كتب قيدةً غاية في الإبداع دعا فيها إلى جمع الكلمة ووحدة الصفّ.[4]

[1] – محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، ت ح، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة طبعة خاصة، للجزائر، سنة 2011، ص 138.
[2] المرجع نفسه، ج2، ص 196.
[3]– توفيق عمراني، مجلة الإصلاح ، ص 76 .
[4]– بتصرف، محمد بن سعد طالبي، الشيخ محمد الطاهر التليلي، قواعد البيان في الثابت المحذوف في القرآن الكريم على رواية ورش، ص 52.

فقال في قصيدته ختم الدروس:

ولتسمعوا قبلها نصحي ينبّكم فربَّ ناصح قوم نصحه عذُبا
إني لأنصحكم يا قوم فاتحذُوا وطاردوا عنكم الأحقاد والغضبا
داء التَّفرق ما حلت جراثيمه في الشّعب يا قوم إلا انحلَّ وانشعبا
وجنبوا عنكم حمراء فتنتكم فإن النّار لا تدنوا لها الحطبا
كفُّوا عن السُّوء واسعوا في مفاهمه لخبر أوطانكُم فلأمر قد حزبا[1]

وكان الشيخ ينصح ويوصي الفتاة بالتدين الذي هو سمة عفَّتها وصلاحها ومما قاله في وعظه لها:

إن التّدين حلية أجمل بها عند الفتاة
فتدين دين محمد دين التَّمدن والحياةِ

إلى أن قال:

والأسوة الحسنى لها في نسوة الَّلف التُّقلت
وبأمهات المؤمنين ن في كلِّ شأن المؤمنات
في الدين أو في الخلق أو في الباقيات الصالحات[2]

وكما حث الشيخ على التمسك بمنهج السلف الصالح في النهوض بالمجتمع الإسلامي مع الاهتمام بتربية الفتاة[3] أم الغد فقال:

يا ابن الجزائر لا تخف وانهض كما نهض السلف
فالعصر جاء وقد سلفْ يستنهض الأجيال

إلى أن قال:

واحرص على أدب الفتاة وأسبح بها بحر الحياة
فهي السفينة للنجاة إن أحكمت أوصلا
البنت أم في الغد ربها الجزائر ترتدي[4]

[1] محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، ج1ص26.
[2] المصدر نفسه، ج1 ص 50
[3] توفيق عمراني، مجلة الإصلاح ص77.
[4] محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، ج1 ص31.

خامسا: أقوال العلماء فيه:

.... قال الدكتور أبو القاسم سعد الله:«لقد كان الشيخ ظاهرة فريدة في الجمع بين المعارف و العلوم والفنون»

وقال أيضا، «ولو كان المرحوم الشيخ التّليلي قد عاش في عصر بعيد عن عصر ازدهار الحضارة العباسية أو الأندلسية لكان ربما من كبار الموسوعيون الذين لا يشق لهم غبار فقد جمع الذكاء الخارق والذاكرة الحية والحافظة التي لا تعرف الكلّ ولا النسيان إلى آخر لحظة في حياته»

وقال أيضا «إذا كلنا نسمع ونقرأ أن بعض العلماء القدامى قد ألف موسوعات بلغت المجلدات الضخمة ظلتنا أن الشيخ التّليلي كان في مقدوره أن يتفوق على بعضهم فيما أن أنجز و من أعمال مع ابتكار وتجديد لو توفر له ما توفر لهم من مكتبات و .....»[1]

... و منما قيل في رثاء الشيخ محمد الطاهر التّليلي– رحمه الله –مانظمه الشاعر الجزائري، أحمد الطيب معاش من والذي سمى قصيدته بـ «وادعا ورثاء النضو العليل للعلامة محمد الطاهر التليلي» وهذا مقطع من قصيدته

لقد قصرت في حق التّليلي فلم أنصفه حتى بالقليل
وقد ألقيت عقدا من شعري وبيني منذ سافر جل جيلي
وكنت نذرت إهداني رفاقي أشياخي من يحي أو عويلي
وغادرنا المحاضر والمرلي وجامع كل أوصافي الجليل
فلم اسمع بخطب أو مصاب ولم أرسل من المنفى رسولي
فـ (طاهر) واد سوف كان فذا بعلم أو حديث أو أصول[2]

[1] -بتصرف، محمد سعد طالبي، الشيخ محمد الطاهر التليلي، قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن الكريم على رواية ورش، ص 24.

[2] –المرجع نفسه، ص 25.

سادسا: أهم مؤلفاته:

1- مؤلفاته الخاصة بالقرآن الكريم:

أ- المطبوعة منها:

- المدخل في غريب القرآن.
- حجر المخلاة في مجالس المحاجاة.
- تلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من المواد.

ب- المخطوطة منها:

- مجموعة تشتمل مسائل رسم القرآن وضبطه.
- قواعد وكلما في الثابت والمحذوف في القرآن الكريم.
- تجريد كتاب الحجة من كل دليل وحجة وهامشه التعليق المفيد في تخريج قراءة ورش
- التعليقات البيانية على منظومات مسائل قرآنية.
- قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن على رواية ورش.

2- مؤلفات في الفنون الأخرى:

أ- المؤلفات المنظومة:

- سلوة المهم والمحتار في قراءة هذه الأشعار من مختلفا الأقطار والإعصار.
- منظومات تربوية للمدارس الابتدائية.
- نظم متن الاستعارات للسَمرقندي.
- ديوان الدموع السوداء «الذي هو مجال بحثنا هذا»

ب- المؤلفات المنشورة:

- الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة.[1]

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 66- 67- 73.

- المسائل الفقهية «فتاوى».
- رسالة النماذج الهامة لأمثلة المطابقة العامة.
- شواهد الكلمات العامية من اللغة العربية الفصحى.
- بدائع الجنان واللسان في غريب الألفاظ ومسائل القرآن.
- زهرات لغوية من الألفاظ الكتابية لعبد الرحمان الهمذاني.

مع الإشارة لذكر أن أغلب مؤلفاته ومكتبه حبس بها الشيخ إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وقد كان أبو القاسم سعد الله من الذين شهدوا صيغة الحبس.[1]

يقول الشيخ في قصيدته «تخصيص مكتبة إلى الطلبة»

باسم الإله أبتدي وتيقني المحبّسة
وبالصلاة أقتفي على نبي وأدبه
إلهه وآله وكل من قد صحبه
وبعد ذا أعلمكم ياسادتي بالمأربة
وبأن كتبي حبس على جميع الطلبة

يقول في آخر القصيدة:

واسم الذي حبسها محمد من أنجيه
بالقاسم بن أخضر بظاهر قد لقيه[2]

ب- التعريف بالديوان:

1- يعد ديوان الدموع السوداء أكبر أعمال الشيخ التّليلي وهو عبارة عن ترجمة لحياته ويترجم ذلك في قوله في غلاف الخارجي لديوان.

[1]- المصدرالسابق ج2، ص 231.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص 17.

إن كنت تطلب مني علما بتاريخ حالي
وسيرتي في حياتي وين قومي وآلي
فأقرأ ديواني هذا ففيه ظل خيالي[1]

2- تقسيم الديوان: كان على قسمين:

القسم الأول: اشتمل على قصائد والمقطوعات المرثية على حسب ترتيب الحروف الهجائية، بدأ بهمزه والانتهاء بالياء، وتميز هذا القسم بتطرقه أغلب أبواب الشعر من فخر، وشكر، وسلوى، وشكوى وعزاء، ورثاء، وإطراء، وغير ذلك من الأبواب المعروف عندنا.

القسم الثاني: أما القسم الثاني فإنه اشتمل على القصائد والمقطوعات الغير المرتبة ترتيبا هجائيا، ولا ترتيبا اصطلاحيا و لا عقليا، ولكنه كالقسم الأول يشتمل على أغلب أبواب الشعر من حماسة وغيرها من غير ترتيب ولا تنسيق.[2]

3- كتابته للديوان الدموع السود:

أ- تبيض الديوان: كان من طرف إبنته، و اعتمد الشيخ على العديد من الملاحظات في القسم الثاني من بينها:

- قد يكون في بعض الحروف تشابه فيختلف من أجله المعنى أو بشكل فيجب التأمل قبل الإصلاح.

- قد يكون خطأ في نقط الحروف أو حركاته في التصوير أو في الإعراب أو في يرهما فيجب كذلك التأمل قبل الإصلاح.

- قد يكون على الكلمة أو الجملة لطخة مداد أو أكثر ماء فيجب التروي في إزالته أو تغطيته أو فهمه حتى لا يؤدي إلى الخلل فيه أو في معناه[3].

[1] محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء، ص17.
2- المصدر نفسه، ص 7.
3- المصدر نفسه، ص 12.

قد يكون في بعض القصائد أو المقطوعات ومبالغات اقتضاها الكلام أو الشاعرية أو القافية أو غير ذلك من الموجبات الواجيه الضرورية، فيرجو صاحب هذه المبالغات من القارئ الكريم العفو والمسامحة ويطلب منه أن يستغفر له ربه وأن لا يؤاخذه بما كتب يداه أو بما جناه.[1]

ب– الطباعة والنشر: كانت من طرف أبي القاسم سعد الله، بعد وفاته وهذا استجابة لوصية الشيخ بعدم نشر ديوانه إلا بعد وفاته، فأتم أبي القاسم سعد الله هذه الوصية وكان نشر هذا الديوان بعدما توفي الشيخ محمد الطاهر التّليلي ... إلخ وهذا في قولي: "... وأما الكتاب الثاني فهو هذا الديوان «الدموع السوداء» الذي كان الشيخ نفسه يرغب في عدم نشره أثناء حياته ولذلك طلب مني أن أعمل على نشره بعد وفاته إن حييت بعده وما أنا أوتي بهذا الذين ضارعا إلى الله أن يتغمد صاحب الديوان بالرحمة والغفران....."[2]

[1]– محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء، ص9.

[2]– المصدر نفسه، ص 16.

الفصل الأول:

✓الصورة البيانية في المعيار البلاغي في ديوان الدموع السوداء

- تمهيد.
- الصورة البيانية في الديوان.
- الصورة التشبيهية.
- الصورة الإستعارية.
- الصورة الكنائية.

تمهيد:

الصورة في اللغة كما جاء في لسان العرب لابن منظور، مادة (ص، و، ر)**:** الصورة في الشكل والجمع صور، وصد صورة، فتصور، تصورت الشيء توهمت صولاته، فتصورلي، والتصاويرْ؛ التماثيل فقال بن الأثير: الصور ترد في لسان العرب (لغتهمْ) على ظاهرها وعلى معنى حقيقية الشيء أو هيئته وعلى معنى صفته يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة كذا أي صفته.[1]

وفي مختار الصحاح قال الكلي: لا أدري ما الصور، وقيل هو جمع (صورة) مثل بُسْره اليسر أي ينفخ في صور الموتى الأرواحُ، وقرأ الحسن «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورْ» بفتح الواو، و (الصُّوُرْ) بكسر الصاد لغتا في الصور جمع الصورُ جمع صورة. و (صورة تصويرًا) (فتصورت) (وتصورت) الشيء توهمت (صورته فتصور) لي، و (التصاوير) التماثيل.[2]

أما في الاصطلاح: فالصورة هو التعبير باللغة المحسوسة عن المعاني والخواطر والأحاسيس و اللغة التصويرية أو لنقل اللغة الفنية ليست سردا تقريريا للحقائق أو بثا مباشر لأفكار، ولكنها تجسيد وتمثيل لتلك الأفكار والحقائق في صورة محسوسة يعانيها المتلقي، ويدركها إدراك حسيا فيكون لها – من ثم – فعاليتها في نفسه، وعميق أثرها في وجدانه.[3]

أما مفهوم الصورة عند القدماء: كانت الصورة في القديم منحصرة على الصور البيانية في التشبيه والمجاز و الكناية هذا ما أشار عليه الدكتور علي البطل عن حديثه عن مفهوم الصورة في الشعر العربي لأن القدماء وقفوا بمفهوم الصورة عند الصور البلاغية في الشبه و الاستعارة والمجاز ويقول الدكتور أحمد بسام الساعي توقفت الدراسات البلاغية القديمة بصورة عند جزئية صغيرة ذات جناحين رئيسين هما عمادها: المشبه والمشبه به إذ اهتدت عن طريق العلاقات الكثيرة التي تحيط بهما[3].

[1] –ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير دار المعارف وآخرون، القاهر مصر، دط، دس، مادة (ص.و.ر).

[2] –الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، ص 1986، ص 156.

[3] – الدكتور حسن طبل، الصورة البيانية في الموروث البلاغي، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1، 2005، ص 15.

وكذلك عن طريق بعض العلاقات الأخرى إلى أسماء حصروها بها- أو حاولوا على الأقل المجلات البلاغية المحتملة في الصورة الأدبية، فكان هناك تشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل والمجاز العقلي أو بعض ما عده الفن البديعي المعنوي.[1]

ولقد حدد مفهوم الصورة في القرن 15 على يد عبد القاهر الجرجاني وهذا في قوله: الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعمله في عقولنا على الذي نراه في أبصارنا وكذلك كان الأمر في الموضوعات فكان تبين من خاتم سوار من سوار لذلك ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين بيته و في الأخر بيوته في عقولنا وفرقا في عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البنونة بأن قلنا: للمعنى في هذا غير صورته في ذلك.[2]

وعند المحدثين ا في العصر الحديث لقد كان لها إهتمام كبير بالصورة وتوسع في مجالاتها أصبح تتشمل كل الأدوات التعبيرية مما تعودنا على دراستها ضمن علم البيان والبديع والمعاني والعروض والقافية والسرد وغيرها من وسائل التعبير الفني.[3]

ولقد كان لها عدة تعريفات من بينها تعريف عبد القادر القط الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بنظمها الشاعر في سياق بياني خاص يعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز و الترادف والتضاد والمقابلة و التجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني.[4]

[1] - المرجع السابق، ص 45.

[2]- عبد. القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تعليق أبو فهد محمود محمد شاكر، دط، دت، ص 1508.

[3] -الوالي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي، المراكز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 10.

[4] عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1988، ص 395.

ويعرفها زكي مبارك بأنها: «أثر الشاعر المغلق الذي يصف المرئيات وصف يجعل قارئ ما يدري أيقرأ قصيدة مشطورة أما بشاهد منظر من مناظر لوجود والذي يصف الوجدانيات وصفا نحيل لقارئ يناجي نفسه ويحاور ضميره لا أنه يقرأ قطعة مختارة لشاعر مجيد».

ويعرفه العقاد أنها «نقل الأشياء الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال فهي في نظره خلق جديد يشكل داخل النفس»[1].

... فالصورة الشعرية: في النقد العربي الحديث لم يعد ضيق أو قاصر على الجانب البلاغي فقط بل اتساع مفهومها و امتد إلى الجانب الشعري الواجداني لإثارة شاعر ويجعل المتلقي شارك المبدع في أفكاره.[2]

[1] – زيد بن محمد بن خاتم الجهني، الصورة الفنية في المفضليات، أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ، ص 47.

[2]– بتصرف، المرجع نفسه، ص 47.

الصورة البيانية في الديوان الدموع السوداء

قبل التطرق إلى أنواع الصورة البيانية عند الشيخ محمد الطاهر التّليلي نقدم لمحة عامة عن علم البيان الذي يقوم بدراسة التشبيه والاستعارة والكناية.

أ- تعريف البيان لغة: فهو الظهور والوضوح، نقول: بأنَّ الشيء يبين: إذ ظهر واتضح، والبيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبأن الشيء بين اتضح فهو بين والجمع، أبناء و التبيين والإيضاح.

ومن معاني البيان: الفصاحة واللسن، والكلام بين فصيح والبيان الإفصاح، وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلام ورجل بين فصيح.

وقال الزجاج: في تفسير قوله تعالى: «خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ»[1]وقيل: الإنسان هنا النبي صلى الله عليه وسلم؛ أيّ علمه القرآن الذي فيه بيان كل شيء وقيل: الإنسان آدم عليه السلام وعلمه البيان، جعله مميزا عن جميع الحيوانات بيانه وتميزه.[2]

ب- البيان في القرآن الكريم:

وفي القرآن الكريم إشارات كثير إلى «البيان» من قول تعالى«هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ»[3] البيان هنا الإيضاح يقول جار الله الزمخشري «هذا بيان للناس: وإيضاح لسوء عاقبة ماهم عليهم من التكذيب يعني: حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعانون من آثار هلاكهم»[4]

[1] سورة الرحمن، آية «3-4».

[2]لسان العرب، لابن منظور، مادة (بين).

[3]سورة آل عمران، آية «138».

[4] أحمد مطلوب، فنون بلاغية البيان البديع، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1975م، ص 12.

ج- البيان في الحديث الشريف:

في الحديث النبوي الشريف عن ابن عباس قال: أتى أعرابي إلى النبي فتكلم بكلام بين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ مِنَ الشِّعْر حِكْمةً، وإنَّ مِن البيانِ سِحْراً) . والبيان هنا إظهار المقصود لفظ وهو من الفهمّ وذكاء القلب، وقيل: معناه أن الرجل يكون عليه الحق وهو أقوم بحجته من خصمه فيقلب الحق بيانه إلى نفسه، لأن معنى السحر قلب الشيء في عين الإنسان وليس بقلب الأعيان. ألا ترى أن البليغ يمدح الإنسان حتى يصرف قلوب السامعين إلى حيه: ثم بذمه حتى يصرفها إلى بعضه.[1]

د- أما البيان عند علماء البيان:

وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.[2]

ولقد وظف الشيخ العديد من الصور البيانية ولم يتكلم فيها من تشبيه واستعارة وكناية ولننطلق لنتعرف على الأنواع البلاغة والصور البيانية عند الشيخ التّليلي.

أولا:أ- الصورة التشبيهية:

التشبيه لغة: بمعنى التمثيل والجمع[3].

أما في الاصطلاح: هو الجمع بين الشيئين أو الأشياء بمعنى أو بواسطة الكاف إلحاق أمر الشبه بأمر المشبه به في معنى مشترك ووجه الشبه بأداة الكاف وقد عرفه بن رشيق العمدة (بأنه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة لأنه لو ناسبه مناسبة كلية إياه. ولشبيه أنواع منها.[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص 12.

[2]- الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة المعاني و البيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، دت، ص 215.

[3] -ابن منظور، لسان العرب، مادة (شبه).

[4]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مكتبه البشري، طبعة جديدة، ص 24.

ب: أنواع الصور التشبيهية:

أ- التشبيه المرسل: ما ذكرت فيه الأداة[1]، وهذا ما نجده عند الشيخ التّليلي في قصيدته «بنات فكري».

رأيت بنات فكري في لحاق من الأوراق مسود دكين
مجدرة الوجوه ملطخات كأن يثورها قطع العجين
مجرحة الخدود مقرحات مدعمة الماجد و الجفون
مغابرة الملامح والثنايا كأن عليها أغبار السنين[2]

حيث يرى الشيخ أن كتاباته المبعثرة في الغرفة قد أصاب الحزن واليأس وضف هذه الصورة التي يعتبر فيه التشبه عنصر مهم، حيث شبه الأوراق المبعثرة وقد لطخها بالحبر عندما رسم فيها أفكاره (قطع العجين) الذي يرسم به ملامح الأشياء وفي قوله (كأنها عليها أغبار السنين) الجمالية تظهر في هذه الصورة حيث شبه كتابته على الورق الموضوعة في زاوية من زاوية الغرفة بتكديس غبار السنين عليها.

وقوله أيضا في قصدته «التشوق إلى أيام الطلب».

سلام ملؤه ود وحب وتأفيف على الماضي القشيب
على الماضي الذي لا عيب فيه سوى نجوى الحبيب إلى الحبيب
ترانا فيه كالطير انتعاشا تناغت وهو كالقفص الرحيب
أعيد لنا من المعمور بيتا تنزّه عن مثيل أو ضريب[3]

ولقد شبه الشيخ فرحته بإقامة بتونس كالطير الفرحان. وشبه فرحته بالدراسة بجامع الزيتونة بالقفص الرحيب، والجمالية في هذه، البت أدخل أداة التشبيه الكاف مع الطير عندما يكون في حالة فرح.

[1] – أيمن أمين عبد الغني، الكاف في البلاغة، البيان البديع والمعاني، دار الوقفية و التراث، دط، دس،ص23.

[2]– محمد الطاهر أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء ،ج2 ،ص247.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص34.

ونجده أيضا في قاصدته «رثاء والدي».

جل المصاب فجلت الأوصاب وتمزقت في جسمنا أعصاب
وتطايرت منا الحُلوم فغادرت أجسامنا وكأنها أقصاب
وتراخت الأعضاء سكرى حيرةً وتثاقلت فكأنها أنصاب
وتبدل الحلو اللذيذ مذاق في الحلق حتى قلت هذا الصاب[1]

وجمالية هذا التعبير تبدو جلية حيث شبه انهيار أعضاء جسمه كأنه في حالة سكر فهو يرى نفسه كأنه قصبة فارغ، أو نصب لا يستطيع الحراك.

وفي قوله أيضا في قصيدته «استقبال زعماء الجزائر في سوف».

كيف لا و الجزائر اليوم تبنى للعلا والملا مدارس قدس
كيف لا و الحصون للعلم تعلو كجبال أو كالبواخر ترسي
فتلفّت تجد أمامك قصرا خاشعا يسمع الحديث بخلس
وتسمع نجده وهو صموت أفصح الواعظين في أي درس
يطلب العون لكمال ويرجو من سخاء الكرام إعلاء رأس[2]

جمالية التشبيه في هذا البيت تبدو واضحة بحث صور أسوار المدرسة جبالا شاهقة متينة تحمي تلاميذ المدارس، وشبهها بالجبال التي تحمي الثوار أثناء الحرب، أو كالبواخر الضخمة القادر على تحمل أمواج البحر.

ب– التشبيه البليغ: هو الذي يحذف منه الركنان الآتيان (أداة تشبه ووجه الشبه)، ويبقى الركنان الآخرين (المشبه والمشبه به).[3]

نجد الشيخ قد وظفه في قصائده ومن بينها «استقبال زعماء الجزائر في سوف».

[1]– المصدر السابق، ج1، ص 35.

[2]– المصدر نفسه، ص 150.

[3] – أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، البيان البديع والمعاني، دار الوقفية و التراث، دط، دس، ص 48.

أبنـــاء يعـــرب يا أســـود شمالنـــا أنـــتم لنـــا ولأرضـــنا عـــرَّ الغـــد
أرض الجزائـــر أنـــتم أشـــبالها وجبالهـــا ورجالهـــا في الســـؤدد
يا رفعـــين مـــن البدايـــة رايـــة رفعـت لمجـد الشـعب لا للمضـية
جاهـــدتم في الله حـــق جهـــاده فـــأزلتم اســـتعمار طـــاغ معـــتن[1]

فقد شبه قاد جمعية العلماء بالأسود في القوة وشبههم بالأشبال والجبال الشامخات بحيث استمد الشاعر صورة من الطبيعة و الواقع منما زادها دقة وجمالا.

وفي قصيدته «فتى الصحراء».

هـم الإصباح حيث ترى سواهم ديـاجـــي في المظـــالم والضّـــلال
هـم الأسـد الضـراغم في حـروب هـــم في السِّـــلم حيـــات الآلي
جـدودك يا فـتى الصـحراء قـوم علـو كالبـدر في كـرم الخـلال[2]

فقد شبه جدوده عندما يتذكرهم يراهم بالأسود في الحروب و حبات اللآلئ فاستمدصور من أشياء تعطي القوة والجمال كأسود والآلي.

جـ- التشبيه المجمل: هو الذي يحذف منه إحدى الركنين الآتيين (أداة التشبيه ووجه الشبه) فإذا حذفنا أداة التشبيه فقط، فهو تشبه مجمل، إذا حذفنا الشبه فهو تشبه مجمل أيضا، وإذن التشبه المجمل يتكون من ثلاثة أركان (المشبه، والمشبه به ركن من الركنين الباقيين)[3].

وفي قول الشيخ في قصيدته «من شعر الطفولة».

خليلي ما غير الفراق أصابني فهـذا أركـاني وأضـعف مـن صـبري
أبيـت وليـل النـائمين براحـة أقلـب جنـبي في أحـرّ مـن الجمـرّ[4]

[1] – محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، ج1، ص 56.
[2] – المصدر نفسه، ج1، ص 107.
[3] –أيمن أمين عبد الغني ، الكافي في البلاغة البيان البديع والمعاني، ص 47.
[4] - محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، ج1، ص 85.

وليلة سمري قد ظننت لطولها بأن لها حبلا يطول إلى الحشر
وما ذاك طول الليلي حقيقة ولطن طير النوم حلق كالنسر[1]

أراد الشيخ أن يعبر عن طول الليل فوظف لها جمالية رائعة يمثل في (طير النوم حلق كالنسر) حيث شبه النوم الذي جفاه بالنسر عندما حلق عاليا فذكر المشبه (النوم) وأداة (الكاف) والمشبه به (النسر).

د- التشبيه المؤكد: ما حذفت من الأداة.[2]

نجده في قصيدته «رثاه عبد القادر الزياني التونسي».

الصبر أجمل حلية الإنسان في ساحة الأوصاب والأحزان
إن الحوادث ما تزال بساحِنا بالرغم منا سائر الأزمان
و الدهر غول للخلائق كلها وحوادث الأيام من أعواني
والمرء بين أظافر ومخالب من دهره في غفوة الوسنان [3]

شبه (الدهر) و المشبه به (الغول) وحذف الأداة وهي (الكاف) وتظهر الجمالية في هذا التعبير حيث شبه الدهر الذي أتعبه ويعاديه بالغول المخيف.

و في قوله أيضا قي قصيدته «نعمة الزواج ونقمته».

قالوا نزوجها كبرى في نصف عمر العجائز
فتلك بالودّ أحرى فقلت هل هذا جائز
كل النساء أفاعي في سنّها السم ناقع
في وهْدة أو يفَاع الموت لا بد واقع[4]

[1]- محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، ج1، ص 85.
[2]- على الجارم مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 24.
[3]- محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، ج2، ص 220.
[4]- المصدر نفسه، ج2، ص 182.

حيث ذكر المشبه وهي (النساء) والمشبه به وهي (الأفاعي) وحذف (الكاف) وقد وظف الشاعر عنصر من عناصر الطبيعة خطرا وهي الأفاعي وأسقطها عن المرأة بشدة خداعها ومكرها.

وفي قصيدته «حفظ القرآن» يقول:

ومن يحفظِ القران كان دليلَهُ وحُجَّتَهُ يوم التَّكلم بالحجِ
وكان له سيفا حاسما لمن لهُ تصدى بإلقاء الشُّكوك من الهمج
وكان له عند التفكر عبرة وموعظة تهديه للطيّب الأرج
و كان له وقت المشيب عبادة و ذكرا به تحيا الموات من المهج[1]

المشبه وهو حفظ (القرآن الكريم) والمشبه به (سيف حسام) وحذف أداة (كاف) وقد جعل حفظ (القرآن الكريم) و المشبه به (سيف حسام) وحذف أداة (كاف) وقد جعل حفظ القرآن الكريم كيف مدافع عن صاحبه أثناء الخطر.

د- التشبيه الضمني: تشبيه لا يوضح فيه المشبه و لا يوضح فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور الشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب وهذا النوع يؤتي به ليفيد أن الحكم الذي استند إلى المشبه ممكن.[2]

حيث أستعمله الشيخ في قصيدته «ختم الدروس 1950».

كافحوا كل شيطان يفرقكم بالعفو طورا بالهجران إن دأباً
داء التفرق ما حلت حمراء فتنتكم في الشعب يا قوم الخل واتسعا
وجنبوا عنكم حمراء فتنتكم فإنها النار لا تدنو لها الحطبا
كفوا عن السوء واسعوا في مفاهمه لخير أوطانكم فالأمر قد حربا[3]

فقد طلب من الناس الابتعاد عن الفتن التي تجلب الحروب و شبهها بالنار التي يبكيها الحطب.

[1]- المصدر السابق، ج1، ص 169.

[2]- محمد الطاهر اللاذقي، المبسط في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص 149.

[3]- محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، ج2، ص 220.

لقد استعمل الشيخ التشبيه بأنواعه إلاّ أننا سلطنا الضوء على بعض منها وكانت أغلب الصور مستمدة من البيئة الصحراوية كالعقرب ونبات الصاب وكذلك من التراث كالعتاد الحربي والأسهم والسيف.

ثانيا: الصور الاستعارية:

تعتبر الاستعارة نوع من أنواع المجاز قبل دراستها نتطرق إلى تعريفها لغة واصطلاحا.

أ- لغة: طلب الشيء ما للانتفاع به زمنا ما دون مقابل، على أن يرد المستعير عند انتهاء المدة الممنوحة له، أو عند الطلب.[1]

ب- اصطلاحا: هو استعمال اللفظ في غير ماوضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى و الاستعارة ليس إلا تشبيها مختصرا، لكنها، أبلغ منه: كقولك: رأيت أسداً في المدرسة. فأصل هذه الاستعارة رأيت رجلاً شجاعاً كالأسد في المدرسة فحذفت لمشبه (رجلاً) والأداة الكاف- ووجه الشبه (الشجاعة) وألحقته بقرينه (المدرسة) لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعا.[2]

والاستعارة أنواع وأشكال متعددة غير أننا نقتصر على دراستها في الديوان على نوعين الاستعارة المكنية والاستعارة التصريحية.

أ- الاستعارة المكنية: هي ماصرح فيها بلفظ المشبه وحذف المشبه به ولهذا تسمى مكنية؛ أي مخفية.[3]وهي حاضرة في قصائد الشيخ التّليلي بشكل كبير من أمثل هذا النوع عند الشيخ التّليلي «يوصف ليلة قضاه مع بعض الشيوخ».

[1] - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، دار الشامية بيروت، ط1 ،1415هـ 1996 م ص229.

[2]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1999، ص 258.

[3]- محمد بن صالح العثيمين، شرح البلاغة في قواعد اللغة العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض المملكة العربية السعودية الأولى، 1434هـ ص 274.

يا ليلــة مـن بنـــات دهـر غـــــراء في حـــلية العــروس
وافـــت علـــى غـــير ميعـــاد والخـوف في مرطهـا السَّدوسـي
والـنجم مـن خلفهـا رقيـب والبـــدر قـــد هـــم بالأنـــيس
والليـل قـد مـل مـن سـراء والفجـــر في حمـــرة الغلـــوس
وافـــت وفي لونهـــا اصـــفرار مـــن خشـــية الطـــالع الحـــريس
يا ويحهـــا لـــو درى أبوهـــا بأنهـــــا تحفـــــة الجلـــــيس
أهـــدت لنـــا رغـــم راقيهـــا مـــا تمـــنح العـــرس للعـــريس[1]

لقد شبه الشاعر ليلة الخميس التي ينتظرها بفارغ الصبر كعروس التي ينتظرها عريسها وشبه النجم بالإنسان الرقيب حيث ترك المشبه (النجم) بالإنسان الرقيب بحيث ترك المشبه وهو (النجم) وحذف المشبه به وهو (الإنسان) ترك شيء من لوازمه المشي خلفها يراقبها.

وشبه (الليل) (بالإنسان) وترك شيء من لوازمه وهو (الملل) وقد شبه (ليلة الخميس) (بالعروس) لها أب (لوردى) سعيا فيها بحذف المشبه به وترك شيء من لوازمه (درى أبوها).

(وافت في لونها اصفرار): شبه (الليل) (بالإنسان) الذي يخاف حذف المشبه به وهو (عروس خائفة) وترك شيء من لوازمه وهي في (لونها اصفرار) وهذه الصور أضافت المعنى جمالا بحيث نابعة من عاطفة صادقة تعبر عن فرحة الشيخ في تلك الليلة.

كما نجد مثل هذا النوع من الاستعارة في قصيدته «شكوى إلى الدهر»يقول فيها:

يا دهـــر مالـــك لا تـــئن تضـــجرا أفأنـــت راضٍ بالـــذي فينـــا جـــرى
يا دهـــــر إني بالنيابـــــة مشـــــتك أشـــكو إليـــك خصاصـــة وتضـــررا
أشـــــكوا مـــــن الأنام قســـــاوة وضـــــراوة حمقـــــاء لـــــن تتصـــــورا
فـــانظر بعينـــك في ملامـــح أهلنـــا تجـــد دليـــل علـــى الوجـــوه محـــورا[2]

1 -محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، ج1، ص 151.
2-المصدر السابق، ج1، ص 84.

وفقد شبه الدهر بالإنسان قاسيا القلب بحيث ترك المشبه وهو الدهر وحذف المشبه به الإنسان قاسي القلب وترك شيء من لوازمه وهو (لا تئن تضجرا) (أنظر بعينك).فعندما صور الدهر الشيء المعنوي وبالشيء المادي وهو الإنسان أضاف لها جمالية في المعنى.

وفي قصيدته «استقبال زعماء الجزائر في وادي سوف».

فالمدفع الرشاش أدفع للتي فيها المذلة للأبي السيد
والسيف والسكين قولهما هدى فيمن تمرد عاتيا لم يهتد
وصدى المسدس مسمع في أذن من ألف التصامم عن حقوق المنشد
والشعب ذاك كله جيش الفدى وهم العدى طعناته في الأكبد[1]

حيث ترك المشبه السيف والسكين وحذف المشبه به الإنسان قوى يرجع كل مفرد. وترك شيء من لوازمه وهو قولهما هدى وقد جعل السكين والسيف كالإنسان القوي الذي يهدي كل متمرد ونجده في قصيدة «شكوى من قمار».

ووسواس السياسة جاء ضغثا على مكان من فتن خوال
ففاض الغدر منك على بينك وغاض الفضل فيك إلى الزوال
فلله الذي سماك قدما قمارا للتقاطع والتعالي
ثقلت على الهداة وكنت كلا وتلاً لا يزحزح للتعالي[2]

المشبه الغدر وحذف المشبه به وهو النهر وترك شيء من لوازمه " الفعل فاض " فقد صور الشيخ الغدر كأنه نهر يفيض وهذا منما زاد من تقوية المعنى وجماليته.

[1]- المصدر السابق، ج1، ص 57.
[2] -المصدر نفسه، ج2، ص 251.

وكذلك في قصيدته "رسالة إلى غدور وسعد الوادي بمكة".

تعز أخي و أنس ما قد مضى وكـــن في انتظـــار الغـــد المبتســـم
ولســـت بنـــاس كـــريم الكـــرام محمـــــد ســـــعد علـــــيّ الهمـــــم
إليـــه ســـلام بـــذلك المقـــام بـــــدار الإمـــــام ونادي الحكـــــم
وأرجـــو مـــن الله جـــم الشـــفاء لـــــــه ولأم عراهـــــا الســـــقم [1]

حيث شبه (الغد) الشيء المعنوي وحذف المشبه به وهو (الإنسان) وترك شيء من لوازمه الابتسامة لا تكون إلا للإنسان.فعندما سأم الشيخ التّليلي من حاضره كان يأمل في غد أفضل وصور أحسن صور وهي الابتسامة.

ب– الاستعارة التصريحية: وهي التي يصرح فيها بالمشبه به ويحذف المشبه[2] ومن الأمثلة في هذا النوع عند الشيخ التّليلي:

نجده في القصيدة «إلى الإمام التّليلي بفريانة تونس».

بلـــى إن اليقـــين بأن فـــيكم منـــار الجـــدير فعـــه الإمـــام
يضـيء بنـوره تلـك الضـواحي فيـذهب عـن جميعكم الظـلام
فأنبت غصته في أرض سوف وكنـا الغصـن يمطـر الغمـام [3]

حذف الشيخ المشبه هو الإمام أحمد التّليلي عند زيارته لمدينة قمار وترك المشبه به المنارة التي تضيء بنورها بحيث كان لأثر الكبير في نوعية الشعب السوفي واستخدم الصورة الثانية الظلام لتدل على حالة الناس في ذلك الوقت، ونجد الصور الأخرى (وأنبت الغصن في أرض سوف) بحيث شبه الشاعر نفسه بغصن الذي يزرع بأرض سوف، وكانت الصورة الرابعة (للمطر الغمام) حيث استعارة مطر الغمام ليدل علي الكم الهائل من العلوم التي يحملها الشيخ الإمام أحمد التّليلي.

[1]– المصدر السابق، ج2، ص 226.
[2]– أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة البيان البديع والمعاني، ص 70.
[3]– المصدر السابق، ج2، ص 236.

ثالثا: الصورة الكنائية:

لغة: كنّ به عند كذا يكنّ ويكنو كناية: تكلم بما يستدل به وعليه، أو أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره أو بلفظ إيجاد جانبا الحقيقة والمجاز وبه كنيا بالكسر والضم سماه به كأكناه وكناه.[1]

اصطلاحا: يقول عبد القاهر الجرجاني «الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكر ما يلفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يحي إلى معنى صوت إليه ورد فه في الوجود فيومي إليه وبجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم «هو طويل النجاد» يريدون طول القامة يرى ابن أثير «حد الكناية الجامع هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانب الحقيقة و المجاز»[2].

قد قسم البلاغين الصور الكنائية ليكن بها عن صفة أو عن موصوف أو عن نسبة.

كناية عن الصفة: وهي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بصفة هنا الصفة المعنوية كالجود و الكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت.[3]

كما نجد هذا النوع في قصيدة الشيخ في «رثاء زوجته الأولى».

جنى عليك ذوو القربى فويلهم لما هم بجبال السكر غلوك
أشلوا عليك كلابا من مكائدهم فمزقتك وما هموا فسلّوك
صارعت أقسام كيد من نبالهم وما استطعت لها ردا فزادوك
وسددوا كل سهم في كنانتهم حتى رموا قلبك الباكي فسموك[4]

كلاب مزقتك: تدل على الأعداء الذين لايحبون زوجته فحاربوهم بكل وسائل.

وفي قصيدته نذكر قول الشيخ «زيادة وفد علماء واد سوف».

---

[1]–ابن منظور، لسان العرب، «مادة كنا».

[2]– عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، د ط، بيروت، 1985م ، ص 211- 212.

[3]– المرجع نفسه، ص 212.

[4]– محمد الطاهر أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، ج1، ص 104.

وطـن الرمـال دس المجـرة وافخـرا أو مـا تـرى طـير السـعادة بشّـرا
أو ما ترى هذي الجموع تقاطرت تسـعى لتسـمع لحنـة لمـا انـبرى
طـــير ولكـــن المنـــابر غصـــنه لحـن ولكـن بالفصـاحة قـد ازدرى
وصنفت له سوف فحلق قاصدا أدواحهـا ليبـت فيهـا الجـواهر[1]

«طير السعادة» فهي كناية عن أمل قادم أن المنطقة محظوظة عندما زارها الشيخ الإبراهيمي وهي كناية عن صفة.

يقول أيضا في قصيدة «شكر للدكتور سعد الله على كتاب التاريخ الثقافي».

قـد احتـوى كـل الـذي ألفتـــــه في عمـــــرك
مـــن كتـــب عديـــدة في نثـــركم وشـــعركم
أحسـنت صـنفا سـيدي أدخلتـــني في قصـــرك
حســبتني مـــا زلـــت في عمـــر الصـــبا وصـــغرك
كتبـــتكم يا ســـيدي شـــرفتها بحـــبرك[2]

القصر في الظاهرة يبدوا انه البناء العالي و الجميل و لكنها و ضعت كناية عن مكانه أبي القاسم سعد الله في قلب الشيخ.

ب) الكناية عن الموصوف: وهي التي يطلب بها نفس الموصوف و الشرط هنا أن تكون الكناية مختصة المكني عنه لا تتعداه، وهو ذلك يحصل الانتقال منها إليه.[3]

نجد هذا النوع في القصيدة «استقبال وفد العلماء في سوف».

[1]- المصدر السابق، ج1، ص 92.
[2]-المصدر نفسه، ج2، ص 252.
[3]- عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص 215.

وجـــدودا هـــم الأســـود بـــلاء في لبـــاس مـــن المهابـــة ورد
وامسـحي الأرض بالثقافة مسحا واتبعـي الغـور إن مـررت بنجـد
وارفعـــي رايـــة الجزائـــر إنا قـد سئمنا السباب من كل فرد
واقطعـــي دابـــر الـــذين رمـــونا بممـــات وكـــذبي كـــل وغـــد[1]

(نجد) كناية عن المناطق المعروفة في الجزائر (الغور) كناية عن صحراء الجزائر. كلهما كناية عن الموصوف.

وكذلك في قصيدته. «ولدي المثقف».

فتقـــوده نحـــو الخنـــا والطفل مضطرب العصب
وإذا بـــــه في نزلهـــــا وبكفـــه بنـــت العنـــب
وإذا بـــه هجـــر العلـــو م إلى المـــآثم واحتقـــب[2]

(بنت العنب) كناية عن الخمر وهو كناية عن الموصوف.

ج- الكناية عن النسبة: ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه أو بعبارة أخرى يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف.[3]يقول الشيخ في قصيدته «عتاب بعض الإخوان».

وإن كانـــت زيارتكـــم لهجـــر تريـــه أخـــاك مـــن دون اعتبـــار
وتلصـق جلدكم بثياب خصـم شـــعار حديثـــة مثـــل الـــدثار
فتصدر حكمك المنقوص فينا بما شاءت بطانة من تداري[4]

صورة «ثياب خصم» فهي كنابه عن الكذب والسفه فهي كناية عن نسبة.

[1]- محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، ج1، ص 52..
[2]- المصدر السابق، ج1، ص 32.
[3]- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، ص 304.
[4]- محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، ج1، ص 78.

الفصل الثاني:

✓الصورة البيانية في المعيار الحسي في ديوان الدموع السوداء

- ◁توطئة
- ◁الصورة البصرية
- ◁ الصورة اللونية
- ◁ الصورة الضوئية
- ◁ الصورة الحركية
- ◁ الصورة الذوقية
- ◁ الصورة اللمسية
- ◁الصورة الحسية

توطئة:

الصورة الحسية: هي الصورة القائمة على إدراك أشياء عن طريق إحدى الحواس، سوى كانت هذه الأشياء من الأمور المحسوسة أو الوجدانية، ومدار الحس قائم على خمس حواس: هي البصر السمع، الذوق، الشم، واللمس.

إن المحسوسات تشكل عنصرا أساسيا في رسم الصورة وتشكلها في الشعر العربي بشكل عام، لأن البيئة العربية تغلب عليها الحسية، حتى في العصر الحديث، وهي (أساس التصوير في الشعر بعامة، و الصورة الحسية أقوى، من غير شك في الدلالة على المعنى والإحساس به من الصور البرهانية العقلية التي تهدف إلى الإقناع)[1].

ولقد عرفت الصورة الحسية في التراث النقدي العربي. وأشار إلى أهمية وجودها في النص الشعري الكثير من البلاغيين القدامى، نذكر من بينهم "الجاحظ" بحديثه عن جودة الشعر في قوله «جنس من التصوير» أي انه أوجب الشعر الجيد إثارة صورة بصرية يمكن أن يصل المتلقي في تخيله لها إلى درجة تكاد ترى بالعين[2].

كما أشار "أبو هلال العسكري" هند حديثه عن جودة التشبيه البليغ فذكر الصورة الحسية كواحدة من الأوجه الربعة التي من شأنها تحقيق بلاغة التشبيه، قال: «وأجود أنواع التشبيه ما يقع على أربعة أوجه أحدها: إخراج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة[3]».

[1]– سليم بن ساعد السّلمي، الصورة الفنية في شعر الخنساء، رسالة ماجستير، إشراف، خليل عبد الرفوع، جامعة مؤتة، 2009.

[2]– شيماء عثمان محمد، الصورة الحسية في الشعر فهد العسكر، مجلة أبحاث البصرة ، العلوم الإنسانية م 36 ،ع1 ، 2011، ص 69.

[3]– المرجع نفسه، ص 70.

تصنف أنواع الصورة الحسية على حسب أنواع الحواس عند الإنسان ثم تؤخذ تصنيفا جزئيا آخر يحدده نوع المثير لتلك الصورة «فإذا كان الغرض الرئيسي إظهار الشكل أو اللون، الحركة أو أي شيء يدرك بالبصر، صنفت ضمن الصورة البصرية... و لو كان غرضه إظهار الصوت صنف ضمن الصورة السمعية».[1]

وما يهمنا في الصور الحسية في ديوان الدموع السوداء للشيخ محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، أنها في الأساس صورة بيانية يغلب عليها تأثير أحد الحواس الخمس.

أنواع الصورة الحسية:

1- الصورة البصرية:

عرفت الصورة البصرية: بأنها التشكيل الفني الذي يظهر الهيئات في المقام الأول، فيظهر الأبعاد والحجوم والمساحات والألوان والحركة، وكل ما يدرك بحاسة البصر.

وتعتبر حاسة البصر أكثر الحواس التي تخاطبها الصورة، كما تعد أحد قنوات الصورة وأكثرها أهمية في تكوينها، ولقد وظف الشيخ محمد الطاهر التّليلي الصور البصرية بكثرة وكانت على نمطين:

النمط الأول: الصور البصرية التي تدركها العين وأفعال الرؤية أبصر- أنظر.

والنمط الثاني: تمثل في مثيرات حاسة البصر من «حركة ولون وضوء».

النمط الأول: الصورة البصرية التي تدركها العين مباشرة، وذلك في قصيدته «أنباء خاصة»[2].

[1]- وجدان الصائغ، الصورة الإستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعر الأخطل الصغير، دار الفارس، لبنان بيروت، ط1 2003 ص118.

[2]- سليم بن ساعد السّلمي،الصورة الفنية في شعر الخنساء، ص 146.

قمـار والقـرى مـن واد سـوف تبـادر جلهـا سـيل الشـفاء
بـ (مدرسة النجاح) بدت قمار وأقمـار المعـارف في جـلاء
تعلـم مـا تزايـد كـل عـام على مائـه مـوفرة الـذكاء[1].

حيث يصف الشيخ مدينة قمار بأقمار المعارف في جلاء ونسج صورته البصرية المتضمنة في التشبيه البليغ.

وكذلك في قصيدته: «فتى الصحراء».

هم الأسد الضراغم في حروب هـم في السـلم حبـات اللآلـئ
وقـد مزجـوا دمـاءهم بـترب عليـه اليـوم تخطـر في اختيـال
وكـانوا كالمعـالم للمعـالي وكـانوا في العـوالم كـالعوالى
وقـد كـان الزمـان بهـم وجـودا وكـان بغـيرهم عـدما كـآل[2]

وفقد شبه الشيخ قوة أجداده في الحرب بالأسود الضراغم للدفاع عن الوطن واعتمد على الصورة البصرية المباشرة المشبه الأجداد والمشبه به الأسود.

أما الصور البصرية الغير مباشرة فتتمثل في مثيرات حاسة البصر وهي ضوء، حركة ولون.

أ- الصورة الضوئية: وهي تلك الصورة التي تعتمد على الضوء في بنائها وتربط بدلالاته، فنرى في إحدى تجاربها الشعرية بتلألؤ وجه الممدوح نورا، يبدد الظلمات، ويضيء الليل روعة وجمالا فالصور الضوئية وهي من الصور البصرية التي تثير حاسة البصر. ويستخدمها الشعراء لرسم الأشعة والأضواء والبريق واللمعان، في صور بيانية مثل البرق والضوء[3]. ولقد كانت الصور الضوئية لها مكانة في

[1]- محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، ديوان الدموع السوداء، ج 1، ص 23.
[2]- المصدر نفسه، ج1، ص 107.
[3]- سليم بن ساعد السّلمي،الصورة الفنية في شعر الخنساء، ص147.

الصور البيانية عند الشيخ ومن بين الألفاظ الضوئية التي استعملها الشيخ (البدر، الشمس، الضياء المصباح، النجم، النار) وفي مجال الرثاء صور لنا صورة ضوئية حيث يقول قصيدته «في رثاء زوجته الأولى»

فعنـك يا نفـس غابـت شمـس مجمعنـا وخلفـــت بعـــدها آثارهـــا فيـــك
مـــات الأحبـــة فالجثمـــان في جـــدث والـــروح في المـــلأ الأعلـــى يناجيـــك
يا نفـس لا تفرحـي مـن بعـد غيبـتهم فلـن تـرى بعـدهم خـير يسـليك
يا شمـس مجمعنـا كنـت الضـياء لنـا في الحالكـات وكـان النـور في فيـك[1]

حيث شبه الشيخ وفاة زوجته بغروب الشمس و الحزن الذي ألم به بعد ما كانت مضيئة في وقت الشدة كالنور الذي تبدد الظلمات و استخدمهاليشير أيضا في المدح حيث يقول في قصيدته «فتى الصحراء» .

فتى الصحراء يا ابن بني هلال وليـد العـرب في أرض الرمـال.
إليكأســـواق مرحمـــة حـــديثا يشـــير إلى الحقيقـــة في المقـــال
بـذكرك الأوائـل مـن جـدود فتـذكر سـادة في كـل حـاك
أتـو كالشـمس يتبعهـا ضـياء إلى ارض الجزائـــر و الشـــمال
أتـــو كالغيثتســـبقه رعـــود و تعقبـــه البشـــارة بالنـــوال
هـم الإصباح حين ترى سواهم دياجـي في المظـالم و الضـلال [2]

حيث رسم لنا الشيخ صورة بيانية ضوئيا عندما تذكر أجدادهم يراهم كالشمس المنيرة و الغيث الغزيرة ومصباح ينير في ظلمة الجهل وكان اعتماده على نحت تلك الصورة بالتشبيه المرسل.

[1]– محمد الطاهر بن أبي القاسم سعد الله، ديوان الدموع السوداء، ج1، ص 103.
[2]– المصدر نفسه، ج 1، ص 107.

ويقول في قصيدة «في افتتاح جامعة الطلبة بقمار».

بــه عرفنــا الــه الكــون بارئنــا لله معرفـــة تشـــفي مـــن الألم
بــه عرفنــا مصــابيح الأنام ومــن كــانوا المنــارة في الــدهماء والظلــم
بـه عرفنـا الأولى قـد شـيدوا أطمـا من عهـد عـاد ذي السلطان و الشم[1]

حيث استعمل الشيخ كلمه مصابيح (الصورة ضوئية) الدالة على العلم و النور وفك الجهل على المدينةبفضل جامعة الطلبة.

وفي قصيدته «بيع الكتاب» يقول:

أنـت نـوري وأنـت مصـباح في قلـبي في دياج مــن الجهالــة طمــس
أنــت في ظلمــة الطريــق منــاري لإيماني الصحيح بل أنت شمس
كــل عقــل لم يصــطحبك إمامــا فهـو ثقـل مـن العواتـق مرسـي[2]

استعمل الشيخ الصورة الضوئية في وصف كتابه العزيز عليه الذي باعه في وقت الحاجة حيث شبه بالنور و المصباح في الظلمة وانه رفيقه في العزلة والوحدانية.

وكذلك في قصيدته «إلى الإمام التّليلي بفريانة تونس» لقول:

بلــى أن اليقــين بان فــيكم منــار الجــد يرفعــه الإمــام
يضـيء بنـوره تلـك الضـواحي فيذهب عـن جميعكم الظلام
دعــاه الوالــدان أمــام جيــل لــذلك مــا تقدمــه أمــام[3]

[1]- المصدر السابق، ج1، ص 120.
[2]- المصدر نفسه، ج1، ص153.
[3]- المصدر نفسه ج2، ص236.

استعمل الشيخ الصورة الضوئية لفعل يضيء ليدل على زيارة الإمام التّليلي من فريانة بتونس حيث الناس في منطقة سوف تعيش في أميه و جهل كانت زيارة الإمام منارة يضيء دربه.

ب- الصورة اللونية:

هي كل صورة غلب اللون على جزئياتها فكان هو المراد منها[1] وتكثر الصور اللونية في ديوان"الدموع السوداء" حيث استعمل الشيخ اللون الأسود بكثرة انطلاقا من عنوان الدموع السوداء وقد استخدم في شعره وفي قصائده اللون الأسود بألفاظه الصريحة وهذا عند قوله في قصيدة «رؤيا صادقة فمن يعيرها».

رأيــت في النــوم لــيلا رؤيا منـــام عميـــق
كـــأنني بـــين قـــوم هــم تــراب الطريــق
مــرت بهــم ســود طــير مــن الحديــد الرقيــق[2]

حيث استخدم الشيخ "سود طير" اللون الأسود ليدل به على معاناة والظلم وهذا بسبب الاستعمار الذي كانت طائرته تغزو وادي سوف فشبه الطائرات بسود طير.

ووظف اللون الأسود في قصيدته «بنات فكري».

رأيت بنـات فكـري في لحـاف مــن الأوراق مســود دكــين
مجـــدَّرة الوجـــوه ملطخـــات كـأن بثورهـا قطـع العجـين
مجرَّحـــة الخـــدود مقرَّحـــات مدمَّعــة المحــاجر والجفــون[3]

وظف الشيخ اللون الأسود"مسودة دكين" لعبر به عن الحزن و اليأس العميق.

---

[1]- زيد بن محمد بن غانم الجهني، الصورة الفنية في المفضليات، مكتبة الملك فهد الوطنية ، المدينة المنورة الرياض المملكة العربية السعودية، ط 1 1425هـ ص 202، ص216 .

[2]- محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، ديوان الدموع السوداء، ج1، ص 147.

[3]- المصدر السابق، ج2، ص 247.

وكذلك تحدث الشيخ عن اللون الأسود بألفاظ غير مباشرة وهذا في قوله في قصيدته «زيارة وفد من جمعية العلماء لسوف».

وجـد التفـرق في القلـوب مكانـة فاحتلهـا بجنـوده مسـتعمرا
حـتى أتـى هـذا الغـراب فأنشبت أظفـاره مستأسـدا متنمـرا
زمـن وذلـك حشـوه وإهابـة لا كان من زمن أعق و أجورا[1]

حيث استعمل الشيخ كلمة غراب دالة على التشاؤم ولذلك وظف لونه للدالة على ظلمة المستعمر وحزنه العميق.وتحدث الشيخ عن اللون الأسود غير مباشر ونجد في قصيدة «إلى صديق بالمعمورة تونس».

فـأنا اليـوم في الظـلام أرى الكلـ ل سـوادا لـو يكـون الثُّـريّا
علمتـني الكثـير أيام عمـري فرأيـت الكثـير زيفـا رديا
فبهـذا اشـتغاليَ عنـك إذا كـ ان اشتغال يُنسي الصديق الوفيا[2]

فاللون الأسود عنده على الظلام و نظرة متشائما ناجمة عن كره الشيخ المتعلم والمثقف ورجل الدين للمضيقات والظلم من طرف والملحدين والناس.

ونجده أيضا مزج بين اللون الأبيض واللون الأسود في قصيدته«في التبذير العائلي»

لا تنظـرنّ إلى الظـواهر إنهـا كعجـار ميّـة يحجـب المجـدورا
الثوب أبـيض والقلـوب حليكـة فاسـلخ نهـارا تكشـف الـديجورا
لا وصـلةً فيهـا وشـائج رحمـة ل هِمـةَ تـدعُ العسـير يسـيرا [3]

[1]- المصدر السابق، ج1، ص93.
[2]- المصدر نفسه، ص163.
3 المصدر نفسه، ج1، ص88.

استخدم الشيخ لفظه أبيض ليدل لنا على نظافة الثوب. كما استخدم كلمة حليكة أي اللون الأسود للدلالة على الحقد والكراهية التي يحملها الناس (بعضهم البعض) ولقد وظف الشيخ ألوان أخرى كلون الأحمر، والأصفر، والأبيض، فاستخدم الشيخ اللون الأحمر في قصيدته «ختم الدروس 1950».

داء التفـرق مـا حلـت جزائمـه في الشـعب يا قـوم انحـل وإن شـعبا
وجنبـوا عـنكم حمـراء فتنـتكم فإنهـا النـار لا تـدنو لهـا الحطبـا
كفوا عن السوء واسعوا في مفاهمة لخـير أوطـانكم فـالأمر قـد حـزنا[1]

فاستخدم اللون الأحمر في العادة يكون للدم ليدل على الفتنة والصراع والقتل. كما نجد اللون الأصفر في قصيدته «رسالةإلى صديق سجين».

قطـان واديكـم قـد ازمعـوا سـفرا من البلاد وجيش الحر لم يفيد
مخافـة لسـع مـن صـفراء عقربـه وحيـة تـذر الأحيـاء كـالبرد
كذا أخو العزم إن يبصر هلاك غد يفكر اليوم في الواقي شر غد[2]

استعمل اللون الأصفر ومزجه مع لون العقرب ليدل على الجهلة، الذين يقتلون كل محاولة لنشر العلم. وتثقيف الشعب وتوعيته في الدفاع عن وطنه منظلمة الاستعمار.

وكذا في قصيدته «ليله مع شيوخ الأدب».

والليل قـد مـل مـن سراه والفجـر في حمـرة الغلـوس
وافـت وفي لونهـا اصـفرار مـن خشـية الطـالع الحـريس
يا ويحهـا لـو درى أبوهـا بأنهـا تحفـة الجلـيس[3]

حيث يدل لون الاصفرار على الهلع والخوف وشبه بالعروس الخائفة في ليلة زواجها.

[1] – المصدر السابق، ج 1، ص 26.
[2]– المصدر نفسه ج1، ص50.
3– المصدر نفسه، ج2، 151.

ومن أمثلة اللون الأخضر في قول الشيخ في قصيدته «في التشوق إلى تونس و الزيتونة».

وتجويـــد وهندســـة ورســـم ومـــيراث يقســـم بـــين آل
فمـا الخضـراء إلا مـن رياض غـدت للفكـر خضـراء الـتلال
تـروح عقولنـا فيهـا وتغـدو وتارات تطـــير إلى الأعـــالي
فمـــن آس إلى ورد ذكـــي إلى فُـــل تحـــطّ ولا تبـــالي[1]

وكذلك في قصيدته «أيام الدراسة في الزيتونة».

يالـــه شـــيخٌ جليـــل في الآداب اليعرُبيـــــــه
دام للخضـــراء نـــورا في الليـــــالي الحليكـــة
ليـــت لي عينـــا تـــراه في الجمـــوع التونســـية.
قائمـــا فيهـــا خطيبـــا وابنـــه العـــرب الأبيـــه
يعشـق المجـد ويهـوى الـــــذكريات العربيـــــة[2]

حيث استخدم الشيخ اللون الأخضر يصف تونس باعتبارها مكان لعلم والعلماء ولدراسة فيها، شبه تونس بالخضراء التلال لأنها كانت منارة للعلم فالمعنى الظاهر من اللون الأخضرأنهاالأرض تزخر بالنعم و الخيرات أما المعنى الباطن فهي بلد تهتم بالعلم والعلماء وتعطيهم مكانتهم الخاصة.

ج– الصورة الحركية: هي كل صورة بصرية غلبت الحركة على أجزاءها وتراكيبها، إن نجد الصورة عند الشاعر في أغلبها تنبض بالحركة والحياة كما أنه جعل بعض الجمادات كائنات حية متحركة[3] ذلك في قوله في قصيدته واصف «كتاب تاريخ الجزائر».

[1]– المصدر السابق، ج 1، ص 112.
[2]– المصدر نفسه،ج 1، ص 159.
[3]– سليم بن ساعد السلمي، الصورة الفنية في شعر الخنساء، ص 204.

نظرت إليه من بعدي وقرب فقلت البحر تسره الدفاتر
وعهدي بالسباحة من قديم فخضت عبابه والجبر ثائر
وقلت أخوص ألتقط اللآلي فبحر الشيخ معروف الجواهر
ولكن التصارع والتعالي من الأمواج أكسبني المحاذر
فأمواج الأدلة والدعاوي ترددها الأئمة الأكابر[1]

لقد اعتمد الشيخ على الاستعارة التصريحية في رسم لوحة فنية متحركة للكتاب حيث صورة بحر ثائر مليء بالجواهر واللآلي وقد غاص الشيخ يلتقط في خيره لكن الأمواج عالية أخذت تجاذبه وسبح الشيخ باحث عن شاطئ بقيه من ذلك.

وفي قصيدته "زكاة نوفمبر سنة 1957" .

والماء يجري من مناخير أنفه جري الميزاب وجنيه مثلوم
أما الصداع وبأسه في رأسه من ذا الهواء فأمره معلوم
هذا الهواء يقال نسبه أصله من أسيا والقائلون الروم
فعليكم بالدفء تشفوا عاجلا ولتعلموا أن الهواء مسموم[2]

وصف لنا الشاعر معاناته التي كانت من جراء المرض فاعتمد على التشبيه لتحريك صورته البيانية فشبه شدة الزكام الذي ينتابه يجري في مناخير أنفه كجري الميزاب. وهذه كناية على شدة الألم.

كما نجد في قصيدته. «البحث عن السكن في عنابة».

[1]- محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، ديوان الدموع السوداء، ج 1، ص 90.
[2]- المصدر نفسه ج1، ص 121.

وفي وحشة من ظلام الليل ساهرة وربما جاءني في الشيطان بالفتى

ولو أعد أستطيع الليل أجمعه إلا مطاردة البرغوث والمحن

هذه الدروس ونبغي أحضرها في مكمن من زوايا البث ترقبني[1]

يعقد الشاعر هنا صورة تشبه طرفاه حسيان فالمشبه (جمع الليل) والمشبه به (البرغوث والمحن) فقد شبه الشاعر (جمع الليل) بمطاردة البرغوث.

وأيضا في قصيدته « الجزاء من حسن العمل»

قالوا الذي فيه القزا مة والدّمامه والعفن

قلت الذي في مشيه متفاحج كالكركدن

قالوا نعم وله فم مثل استِهِ أبدا نَتِن

بخرٌوريح لايطا ق إذا تحرك أو سكن [2]

فالمشبه (مشي المتفاجع) والمشبه به (الكركدن) فاعتمد على الصورة الحركية في تحريك صورته البيانية على الاعتماد علي التشبيه.

2- الصورة الذوقية:

هي الصورة التي تعتمد على حاسة الذوق والذوق هو إدراك طعم المواد المذاق عن طريق اللسان فيقوم الشاعر بتوظيفها بيانيا عن طريق الاستعارة أو الكناية أو التشبيه[3].

ومن الصور الذوقية عن الشيخ والتي وظفها ليعبر بها عن الألم والحزن في قصيدته «رسالة أخرى إلى بن سعد الوادي».

[1]- المصدر السابق، ج 1، ص 140.

[2]- المصدر نفسه، ج 1، ص 128.

[3]- زيد بن محمد بن غانم الجهني، الصورة الفنية في المفضليات، ص 239.

وأرى الحـــزن لا يفـــارق ظلـــي كـأن يبـني ولـين حـزني وفاقـا
كـل شـيء في خـاطري صـار مـرا طعمه الصاب لو يذاق مذاقا
من ظلام النفوس أو ظلم نفسي أظلم الكون في حياتي وفاقا[1]

وظف الشيخ الصورة الذوقية ليدل على المعانات. والحزن حيث شبه الشيخ طعم مذاق بطعم الصاب وهو نبات موجود في الصحراء يتميز بالمضاق المر.

كذلك استخدم الشيخ الصورة الذوقية ليعبر بها عن مرض أصابه في قصيدته «ليله زكام».

طـــال ليلـــي بالزكـــام وتغشـــــاني الزكـــــام
لم أذق طعـــــم المنـــــام بـــل تـــذوقت الحمـــام
فســـــعالي كالســـــعالى قربـــت مـــني نصـــالا
وطـــوتْ جســـمي فمـــال أمرهـــا مـــني العظـــام[2]

حيث شبه مرضه ومعاناته في الليل أنه لم يذق طعم المنام كنايه عن السهر والمعاناة وظفها الشيخ لتشخيص حالته، التي وصل إليها.

وفي قصيدة «ليله من شيوخ الأدب».

البخـــل والشـــح فيـــه طبـــع لا تطلـــب الخـــير مـــن خســـيس
لابـــد للطـــاغي مـــن طغـــاة يســـــقونه مـــــرة الكـــــؤوس
فهمـت مـن دهـري كـل هـذا فهمـــــت في فدفـــــد دريـــــس
وبـــــتُ في أحلـــــك الليـــــالي مراقبـــــا ليلـــــه الخمـــــيس[3]

[1]– محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، ديوان الدموع السوداء، ج 2، ص 210.
[2]– المصدر نفسه، ج 1، ص 122.
[3]–المصدر نفسه، ج 1، ص 152.

يشبه الشيخ الطاغي في طغيانه أنه يسقى بمر الكؤوس وهذه كناية على الظلم فقام بتجسيدها عن طريق الصورة الذوقية مرة الكؤوس.

ومن الصور الذوقية الأخرى وتوظيفه للخمر كمادة لصورة الذوقية ونجده في قصيدة «ليله من شيوخ الأدب».

أتـــت بـــه فاضـــلا جلـــيلا في بـــزّة الطالـــب التعـــيس
شـــربنا مـــن آنســـه مـــداماً ألـــذّ مـــن شـــرب خنـــدريس
ثمِلْنـــا مـــن خلقـــه فملْنـــا لـــلأدب الغـــضّ بالـــرؤوس
دخلنـــا مـــن عملـــه رياضـــا ما الورد ما سوس السَّنوسي[1]

فقد شبه الشاعر الاستمتاع بخلقه العلم والإحساس باللذة والنشوة كنشوة شرب الخمر واستعمل نوعان من الخمر المدام و خندريس.

فلقد تنوعت الصورة الذوقية عند الشاعر من ذكر مادة الذوق أو صفة الذوق أو فعله مثل السم كذلك ما يخص بصفه الذوق فتعبر عنده بالحلو والمر واللذيذ. أما في ما يخص الصورة الذوقية في الأفعال فكانت متمثلة في الشرب والأكل. ولقد وظفها الشيخ لعبر بها عن حالته النفسية الحزينة الكئيبة.

3- الصورة اللمسية:

وهي كل صورة اعتمدت في بنائها على حاسة اللمس، واللمس هو القدرة على إدراك والتواصل يؤدي إلى التعرف على أصناف كثيرة وإدراك معاني جليلة لتعرف على الحار والرطب والبارد والخشن واليابس والناعم[2]. فالصورة اللمسية عند الشاعر كانت قليلة نسبيا قياسا بالصور الحسية الأخرى ومثال على ذلك في قصيدته «بيع الكتاب».

[1]- المصدر السابق، ج2،ص151.
[2]- زيد بن محمد بن غانم الجهني، الصورة الفنية في المفضليات، ص 244.

غـالني الـدهر وهـو غـول أكـول لم يـدع لي ولـو شـجيرة خـسّ
مسـني الفقـر وهـو داء عضـال بعـذاب ولا كشـيطان مـسّ
فكتمـت الأمـرَّين فقـرا وضـرا عن صديق وعن عدو أخس[1]

حيث شبه الشاعر الفقر بداء العضال أي المرض الخبيث الذي وصفه أكثر خطورة وشدة من مس الشيطان وظف لها الصورة اللمسية. وهذا السبب لبيع الكتاب العزيز عليه حيث باعه وقت الحاجة لسبب الفقر.

وفي قصيدته « من شعر الطفولة».

وكـم عبثـت بالـنفس عنـد انسـكابها شؤوني في طرسي فيمحي بها سطري
أقبـل مكتـبي إليـه لعلـه يلامسـه بالكـف منـه أو الثغـر
وأطويـه طيّـي ثم أنشـر طيّـه وألثمـه أخـرى لـدى الطـيّ والنشـر.
سـلام علـيكم سـادتي وأحبـتي إلى ملتقـي الكفـين تـبرا علـى تـبر[2]

فالشيخ يصف شوق صاحبه في تونس حيث أخذ يقبل رسالة صديقه من كل أطراف فحس كأنه يلامسه فعلا بكفه أو بفمه لذلك قال يلامسه بالكف أو الثغر وهي صورة حسية.

4- الصورة السمعية:

وهي كل صورة اعتمد الشاعر في رسمها على حاسة، السمع، وليس من الضروري ألا تشاركها حاسة أخرى لكن الغالي عليها هو هذه الحاسة[3].

فالصورة السمعية وهي تلك الصور التي تعتمد على السماع أساسا ويلتقطها الآذان من أنغام وأصوات نشترك في تكوين ملامحها وأبعادها، فالصورة السمعية في الديوان نجدها قليلة بنسبة للصورة

[1]- محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، ديوان الدموع السوداء، ج 2، ص 153.
[2]- المصدر نفسه، ج 1، ص 86.
[3]- زيد بن محمد بن غانم الجهني، الصورة الفنية في المفضليات، ص 231.

البصرية والذوقية، وكانت الصورة عنده عن طريق الأفعال الدالة على السماع مثل سمعت، تكلمت، أنشدت.

ونجد ذلك في قصيدته « ختم الدروس 1950».

لبـوا النـداء وحـادي المجـد يطـربهم لروضــة العلــم لمــا طيرهــا خطبهــا
رويــدكم هــذه أطفــال روضــتكم قد غردت فاسمعوا من لحنها الطربا
ولتســمعوا قبلهــا نصــحي يــنِّهكم فــرُبَّ ناصــح قــوم نصــحه عــذُبا
إني لا نصــحكم يا قــوم فاتحــدوا وطـاردوا عـنكم الأحقـاد والغضـبا[1]

يعقد الشاعر هنا صورة تشبيهية فالمشبه (صوت أطفال روضة) والمشبه به (من لحنها الطرب) حيث وصف الشاعر صوت الأطفال الروضة كأنه تغريد الحمام من لحنها الطرب.

وكما نجد في نفس القصيدة «ختم الدروس 1950».

يغدو إلى ذي الغني فيكم فيطعنه بـدرهم الظلـم يبغـي ضـعف مـا وهبـا
وهــذه حالــة الفــلاح بيــنكم صــرعى تــئن ولا مــن قــال وَاحَــربا
هذا بسهم الهوى يرمي فيصرعها وذا الأذى والحقـــد قـــد ضـــربا
يسـوءني كـل هـذا في الـبلاد ولا مــن آمــر فــيكم ناه قــد انتــدبا[2]

الصورة السمعية هنا طرفاها حسيان فالمشبه (الفلاح) والمشبه به (صرعى تئن)، فقد شبه الشاعر آلم الفلاح كأنه صرعي تئن وهذا بسب الحقد والصراع الذي بين الناس والجري خلف الدنيا.

[1]– محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، ج1، ص 26.
[2]– المصدر نفسه، ج1 ، ص 27.

ونجد في قصيدته «أيام الدراسة في الزيتونة».

يـــــوم كنـــــا في حماهـــــا تـــونس الخضـــراء النديـــة

نتغـــــنى فـــــوق غصـــــن مـــن غصـــون الزيتونيـــة

نطـــــرب الســـــمع ولكـــــن بالأغـــــاني الوطنيـــــة

في غُـــــــــــــــدُوٍ ورواح وصـــــــباح وعشـــــيه[1]

يعقد الشاعر هنا صورة استعارة مكنية المشبه هو الطالب والمشبه به محذوف الطائر المغرد وترك الشيء من لوازمه هو الغناء فوق الغصن، فقد شبه الشاعر صوت الطلاب الذين يدرسون في جامع الزيتونة كطير المغني فوق غصن الزيتونة بنغمات وألحان شجية تطرب بها الآذان بالإيقاع وموسيقى.

[1]– المصدر السابق، ج1، ص 157.

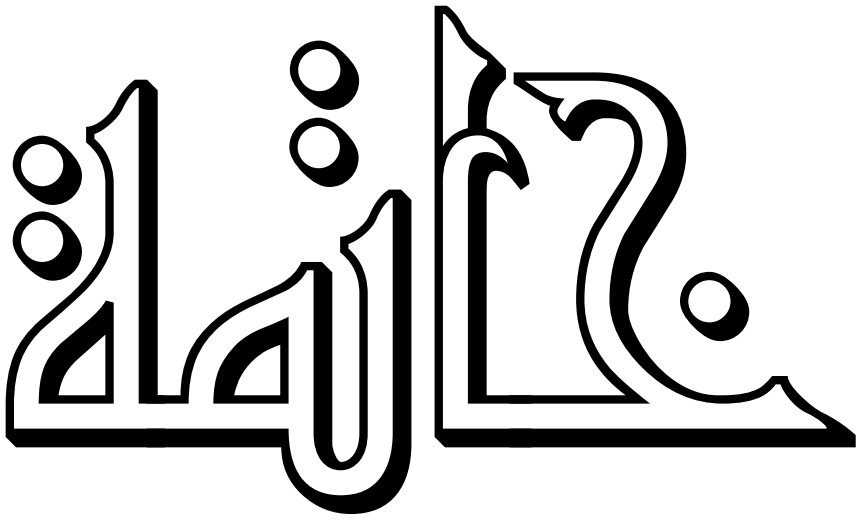

بعد دراستنا في جماليات الصورة البيانية في ديوان الدموع السوداء والتوغل في أعماق نسيج الصورة توصلنا للنتائج الآتية:

- **أولا: في الديوان:**

- ديوان الدموع السوداء يعد أهم أعمال الشيخ في مسيرة حياته.
- أغلب قصائد الشيخ نابع من أحاسيسه وحزنه العميق.
- الشيخ لم يعتمد على الغزل في الديوان.
- ديوان الدموع السوداء لم ينشر إلا بعد وفاته.
- حبس الشيخ أغلب أعماله ومؤلفاته في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة.

- **ثانيا: الصورة البيانية:**

- كانت الصورة التشبيهية هي الغالبة على بقية الصور البيانية في شعر الشيخ وقد غلب الصورة التشبيهية القائمة على التشبيه المرسل، أما الصورة التشبيهية الأخرى التشبه البليغ والتشبيه المؤكد وغيرها، أما التشبيه الضمني فكان قليل في الديوان على قلته.
- طغت الصورة الإستعارية المبنية على الاستعارة المكنية على الصورة التصريحية ويلمس قارئ شعره الصورة الإستعارية القائمة على التشخيص والتجسم .
- كانت الصورة الكنائية قليله قياسا بالصورة التشبهيه والاستعارية وكانت أغلب الصور مأخوذة من البيئة الصحراوية.
- يأتي ترتيب صور الشاعر الحسية من حيث ورودها في شعر حسب التسلسل الآتي الصورة البصرية الصورة الذوقية، الصورة اللمسية، الصورة السمعية.
- الصورة البصرية عند الشيخ غلبت عليها الصورة الضوئية من مثيرات حاسة البصر مثل الشمس والضياء، البرق، ثم قلبها الصورة اللونية والحركية.

أما الصورة اللونية يغلب عليها اللون الأسود على بقية الألوان، في صور الشيخ الحسية ثم يليه اللون الأحمر، فالأبيض، فالأخضر، فإن جل الصور البيانية عند الشيخ مأخوذة من البيئة الصحراوية، التي يعيش فيها وظفها الشيخ لتعبير عن حزنه العميق فهذا بسبب العقبات التي كانت في طريقه.

أما في الأخير ما يمكن القول في ديوان الدموع السوداء، بأنه تنوعت الصور البيانية من صور بلاغية وحسية، عند الشيخ كذلك الديوان يعتبر بحرا غزير من القصائد الشعرية تنوعت من الحكمة إلى الرثاء إلى المدح، إلى الجانب الإصلاحي التعليمي،أخذنا منه ما آخذنا ويبقى البحث في الديوان مفتوح لكل طالب علم أراد التعمق في الموضوع .

قائمة المصادر والمراجع

I- قائمة المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق، عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهر مصر دط، دس.
- الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان ط م، 1986م.
- محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي، الدموع السوداء، تحقيق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرف ط ح، الجزائر 2011م.

II – قائمة المراجع:

- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 1993.
- أحمد مطلوب، فنون بلاغية البيان البديع، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1975م.
- أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة البيان البديع المعاني، دار التوفيقية والتراث، دط دس.
- حسن طبل، الصورة البيانية في الموروث البلاغي، مكتبة الإمام، ط1، 2005م.
- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، د ط، د س.
- سيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية ط1، 1999م.
- عبد الرحمان حسن حبنكة الميراتي، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم دمشق دار الشامية بيروت، ط1، 1415هـ - 1969م.
- عبد العزيز عتيق، علم البيان دار النهضة العربية بيروت، دط، 1985م.
- عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة 1988م.
- علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مكتبة البشرى، ط1، 1431هـ -2010م.

- محمد الطاهر اللاذقي، المبسط في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت لبنان ط1، 2005.

- محمد بن صالح العثيمين، شرح البلاغة في قواعد اللغة العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض المملكة العربية السعودية، ط1، 1434هـ .

- وجدان الصايغ، الصورة الاستعمارية في الشعر العربي الحديث: روية بلاغية لشعر الأخطل الصغير دار الفارس، بيروت لبنان، ط،1 2003.

- الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 1990م.

- يزيد بن محمد بن غانم الجهني، الصورة الفنية في المفضليات أنماطها ومواضيعها ومصادرها ومسمياتها، الجامعة الإسلامية، ط1، 1425هـ.

III- المجلّات:

- توفيق عمراني، مجلة الإصلاح، سيرة الأعلام، دار الفضيلة للنشر ، السنة الثالثة، العدد 13 ربيع الأول ربيع الثاني 1430هـ - 2009م.

- شيماء عثماني محمد، الصورة الحسية في شعر فهد العسكري، مجلة أبحاث البصرة، العلوم الإنسانية م36، ع1، 2011.

IV- الرسائل الجامعية:

- سليم بن ساعد السلمي، الصورة الفنية لشعر الخنساء، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير جامعة مؤته، 2009م.

- محمد بن سعد طالبي الشيخ محمد الطاهر التليلي، قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن الكريم على رواية ورش، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، في علم القراءات، جامعة الحاج الخضر باتنة 2007 – 2008م.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
البسملة	
الآية	
شكر وعرفان	
مقدمة	هـ، و،ز
مدخل:1/ نبذة عن حياة الشيخ محمد الطاهر التّليلي	08
أولا: – اسمه ونسبه ومولده	09
– اسمه ونسبه	09
– مولده	9
ثانيا: نشأته ووفاته	9
– نشأته	9
– وفاته	10
ثالثا: نشأته العلمية	10
رابعا: آثاره الإصلاحية	11
خامسا: أقوال العلماء فيه	13
سادسا: أهم مؤلفاته	14
2/ التعريف بالديوان الدموع السوداء	15
الفصل الأول: الصورة البيانية في المعيار البلاغي في الديوان	
تمهيد	19
تعريف البيان (لغة واصطلاحا)	22
أولا: الصورة التشبيهية	23
تعريف الصورة التشبيه (لغة واصطلاحا)	23

ب: أنواع التشبيه	24
أ- التشبيه المرسل	24
ب- التشبيه البليغ	25
ج- التشبيه المجمل	26
د- التشبيه المؤكد	27
هـ التشبيه الضمني	28
ثانيا: الصورة الاستعارية	29
تعريف الاستعارة (لغة واصطلاحا)	29
أ- الاستعارة المكنية	29
ب- الاستعارة التصريحية	32
ثالثا: الصورة الكنائية	33
تعريف الصورة الكناية (لغة واصطلاحا)	33
أ- كناية عن صفة	33
ب- كناية عن موصوف	34
ج- كناية عن نسبة	35
الفصل الثاني: الصورة البيانية في المعيار الحسي في الديوان	
توطئة	37
تعريف الصورة الحسية	37
1- الصورة البصرية	38
- الصورة البصرية المباشرة	38
- الصورة البصرية غير مباشرة	39
أ- الصورة الضوئية	39

ب- الصورة اللونية	42
ج- الصورة الحركية	45
2- الصورة الذوقية	47
3- الصورة اللمسية	49
4- الصورة السمعية	50
الخاتمة	54
قائمة المصادر والمراجع	57
فهرس الموضوعات	60

تم بحمد الله